كأيام العرب القدماء وخرافاتهم ولكنهم لم يستغلوا شيئاً منه ، بل لم نستغله نحن حتى اليوم .

ولو أننا تركنا هذا الاتجاه في أدب الكليات ونظرنا فى الشعر الغنائى الذى يشبه الشعر العربى لوجدنا فى القرن الثامن عشر فى فرنسا مذهب « شينييه » الذى دعا إلى تجديد الشعر الفرنسى فقال بيته المشهور « لنقل أفكاراً جديدة فى صياغة قديمة » ... ولكن أمثال هذه المحاولة أيضاً لم يعرفها الشعر العربى ، فأبو نواس ... محاولته لم تنجح . . . وأما مدائحه فقد كانت على نمط المدائح التقليدية ، وهي على أى حال لم تكون مذهباً ثابتاً . وإذن فالظاهرة التى سادت عند أصحاب مذهب البديع لم تكن الظاهرة التى يتحدث عنها « شينييه » ـ فهم لم يقولوا أفكاراً جديدة فى صياغة قديمة ـ بل حاولوا بوجه عام أن يقولوا الأفكار القديمة في صياغة جديدة ، وبخاصة عند أبى تمام الذي لم يكد يجدد شيئاً فى موضوعات الشعر ، وإنما تجددت المعانى فى القرن الرابع والخامس عند المتنبي وأبى العلاء »[1] .

وأما فيما يخص أبا تمام فى القرن الثالث والخصومة بين القدماء والمحدثين التى احتدمت بعده حتى القرن الرابع ، فلا يرى مندور فى أسبابها شيئاً كان يدعو إليها « كأن هذا الشاعر قد جدد في الشعر العربى تجديداً حقيقياً ، وكأنه قد خرج على ما عهده الجاهليون والأمويون من شعر ، مع أنه كما قلنا لم يغير شيئاً فى الأصول الفنية للشعر العربى ولم يخرج إلا على عموده كما يقولون ، ومعنى العمود عندهم ـ فيما يبدو ـ هو الصياغة ، فأغراضه الشعرية هي أغراض القدماء وطريقة بنائه للقصيدة هي طريقة القدماء ، ومعانى شعره هى معانى القدماء »[2]

---

(١) النقد المنهجى ص ٥١ — ٥٢ .

(٢) المرجع نفسه ص ٧٢ .